

انتبه أنت غداً بينهم

22.10.10

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المين، الحي القيوم المتفرد بالبقاء والدوام، القائل في محكم التنزيل: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} حي وقيوم فلا ينام وجل أن يشبهه الأنام

باق فلا يفنى ولا يبيد ولا يكون غير ما يريد

والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، أعرف الخلق بربه - تبارك وتعالى -، محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الكرام وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون: أليس كل منا في نعمة وعافية؟ ألسنا نتقلب في النعم صباح مساء؟ كم أنعم الله - تبارك وتعالى - علينا؟ كم تفضل بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} ابراهيم 34؟ أليس لكل منا مسكن يأوي إليه، وأموال يتقلب ويتصرف بها، وحياة زوجية ترضيه وفرش وفير، وطعام وفير، وماء بارد؟ فهل فكرت يوماً من الأيام أخي أنك ستفارق كل ما تملك، وهل فكرت يوماً أنك ستخرج من بيتك مكرهاً مجرداً من الأموال، فلو أنك تنبتهت وأنتب فإن هذا شيء متيقن.

فإن قلت أخي: ومن سينزع مني الأموال؟ ومن الذي يتجرأ ويزعم أنه سيخرجني من بيتي؟

قلت لك: إنه الله - تبارك وتعالى -، أما قرأت قول الله الملك الحق المين: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} الرحمن 26، وقوله - عز من قائل -: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} ال عمران 185، ومهما طال عمرك فإن الموت طالبك ولا بد قال الشاعر:

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت

ولعمري عن قليل كل من فيها يموت

أخي الكريم: هل مررت بدار لك فيها أربة وأصحاب, ساكنة لا سراج لهم فيها, هل فكرت في زيارتهم؟ هل تفكرت في حالهم؟ هل خرجت لزيارتهم في الليل لأخذ العبرة والعظة؟ هل سألت نفسك ما حالهم؟

لو ذهب إنسان إلى تلك الدور في ظلام الليل, وجلس بينهم, وتفكر في أحوال تلك المنازل التي لا أنيس ولا جليس فيها إلا العمل الذي قُدم, وتفكر في يوم نقلته من هذه الدار, عندما ينادي أقرب قريب: "أسرعوا بـدفن الحبيب, لا بقاء له بيننا فإن إكرام الميت دفنه", فيُجرد من الثياب, ويسكب عليه الماء, ثم يلف عليه الكفن, ويحيط بالحنوط, ثم يحمل على الأكتاف, الأبناء يبكون عليه, والأم تكفكف دمعها, والزوجة تصيح, والدموع على الحدود تسيل, والحزن قد خيم على الجميع

ولدتك أمك باكياً مستصرخاً والناس حولك يضحكون سرور

فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً سرور ثم يُحمل على الأكتاف فيصيح من

الإخوة والأحباب: أرفقوا به, وهو إما أن يقول: قدموني قدموني, أو يقول: يا ويلها أين تذهبون بما كما أخبر بذلك سيد الأنام - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني, وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بما, يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان, ولو سمعها الإنسان لصعق)) البخاري, ثم يُصلى عليه, ويحمل إلى البيت الذي انتقل إليه من بيته القديم إليه, فيفترش التراب بدلاً عن الفراش الوفير, ويصف عليه اللبن, ويهال عليه التراب, فيلقى هناك, ويتخلى عنه الأهل والأحباب, ثم يقوم من يجبه بعد الدفن فيقول: أَدْعُوا لِأَخِيكُمْ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ, ثم يسمع قرع نعالهم حين يولون عنه, فيتركونه وحيداً فريداً في ظلام القبر, فيأتي الملاك فيسألانه: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فإن كان صالحاً وُفق في الإجابة, وإن كانت الأخرى تلعنم ولم يجب, ثم تبدأ الدود بالتسابق لنهش الحدود, وتتساقط الأنامل والعيون, ويتبدل الجلد الحسن, ويصير جيفة هامة, ويفتح له باب إلى الجنة أو باب إلى النار, ويصير عليه القبر إما روضة من رياض الجنة, أو حفرة من حفر النار كما ثبت عن سيد الأنام - عليه الصلاة والسلام -.

الخطبة الثانية؟ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد أما ترتجي أخي تدارك العمر

قبل فوات الأوان, وقبل الحسرة والندم, قبل أن تقول: رب ارجعون, فيقال لك: كلا, اسمع إلى قول الله - تعالى -: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} المومنون 99, ويروى أن أحد العباد أتى إلى قبر صاحب له كان يألفه فأنشد:

ما لي مررت على القبور مسلماً
قبر الحبيب فلم يرد جوابي

أحبيب ما لك لا تجيب منادياً أملت بعدي خلة الأصحاب

فأجيب عن الميت:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل و تراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم و حُجبت عن أهلي وعن أصحابي
وتمزقت تلك الجلود صفائحاً يا طالما لبست رفيع ثيابي
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤاً ما كان أحسنها لرد جوابي
وتفصلت تلك الأنامل من يدي ما كان أحسنها لخط كتابي
فعليكموا مني السلام تقطعت عني وعنكم خلة الأصحاب

أخي الكريم: فليكن الموت نصب عينيك, وليكن لك فيمن مضى عبرة, فأكثر من ذكره, وتذكر أن الله - تبارك وتعالى - كتبه على كل إنسان, فإن ذكر الموت دواء للقلوب, وموقف لها من الغفلة, وقد حثنا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - على ذكره كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أكثرُوا ذكر هادم اللذات - يعني الموت -))8, فما غفل عن ذكره إنسان إلا غوى.

نسأل الله العظيم المنّة أن يمنّ علينا بالمغفرة والرحمة, وأن يغفر لنا ولسلفنا من الأجيّة والأصحاب, ولجميع المسلمين, وأن يعفو عنا وعنهم, وأن يكرم نزلهم, ويتجاوز عنهم, وأن يجعل قبورهم روضة من رياض الجنة لا حفرة من حفر النيران, ونسأله أن يعيننا على طاعته, وأن يحتّم لنا بالحُسنى, إنه على كل شيء قدير, والحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أكرم المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار, وصحابه الكرام, وسلم تسليماً كثيراً.